

مناهج وتقنيات الب

L'antroponymie

ينظر الكثير من الباحثين إلى أسماء الأعلام داخل أي مجتمع في أية حضارة، على أنها تعكس أبعادا ثقافية واجتماعية، وتعبّر عن انتساب لمحيط حضاري معين فتجسد جانبا هاما من هوية المجتمع، كما تبرز خلفية فكرية، أو مذهبية، أو عقديّة، كما تؤشّر كذلك عن انتماء طبقي اجتماعي لحاملها.

ونظرا لجملة الأهداف والمزايا التي أتينا على ذكرها والتي تحتلها أسماء الأعلام، فقد كانت محل اهتمام الدارسين والباحثين منذ فترات زمنية بعيدة، فكتبت المدونات في هذا الشأن، ورسمت شجرة الأنساب لدى العديد من القبائل والجماعات وتوارثوها أبا عن جد بالحفظ والتدوين.

وكان من أبرز الفروع العلمية التي اشتغلت على أسماء الأعلام والأماكن علم الأنثروبولوجيا، وتحديدًا من خلال فرعي الأنثروبونيمية (anthroponymie) ويهتم هذا الفرع بدراسة أسماء البشر، أما الفرع الآخر فهو التوبونيمية (Toponymie) ويهتم بدراسة أسماء الأماكن وكانت قد توسعت الاهتمامات في مجال دراسة أسماء الأشخاص، وطرحت العديد

لاختياره، وما أهم التغيرات التي طرأت في هذا المجال، وما الحيز الذي يشغله اسم العلم في مجال الهوية والانتماء بمختلف أنواعه، وذلك من خلال اعتماد تقنيات ومناهج للبحث في أسماء الأعلام. في هذا المقال سأطرق لإبراز التقنيات والمناهج المستخدمة من قبل الأنثروبولوجيين في دراستهم المتعلقة بأسماء الأعلام، مع إبراز أهم المستجدات الحاصلة في هذا المجال.

" في العلوم الاجتماعية "

إن اسم الشخص أو المكان كليهما يحمل رسالة مهمة، الأولى والواجب الاطلاع عليها وحفظها لتحقيق الاهتمام بالماضي وضمان الاستمرار التاريخي.¹

يرى الباحث الأنثروبولوجي علي المكاوي أن الأسماء يمكننا وصفها على أنها رموز ثقافية عالية التكثيف، تكشف عن علاقة الإنسان بالبيئة وتفاعله معها، ومن هنا صارت الأسماء موضوعا مشتركا للعديد من العلوم، يدلي كل علم منها بدلوه في ضوء بؤرة اهتمامه، فهذه تتناول الاسم من حيث اشتقاقه ودلالته اللغوية وما يحويه من أجناس دلالية كالترادف والتضاد والاشتراك والتخصيص وهذا من اهتمام علم اللغة، وتلك تشير إلى الاسم في ارتباطه بالعقيدة الإسلامية والسنة النبوية والأداب الدينية التي تحكم اختيار الاسم وتوقيته وحقوق الأبناء على الآباء وهذا من اهتمام علوم الدين، كما يهتم الإحصاء بتتبع كثرة انتشار بعض الأسماء دون أخرى، كما تسعى فروع أخرى لدراسة الأسماء باعتبارها نتاجا لعقلية جماعة، وانعكاسا لظروف بيئية وطريقة حياة، ومرآة لنفسية شعب، وصورة لتاريخ الحضارة.²

ومن أبرز العلوم التي اهتمت بدراسة وتتبع معاني ودلالات أسماء الأشخاص، وتقصي التغيرات التي تطرأ على منظومة التسمية لدى مجتمع من المجتمعات، أو ثقافة من الثقافات، مع تحديد العوامل الموجهة لذلك نجد:

1- الأديان وأسماء الأشخاص

بمسحة مختصرة من خلال تتبع الاهتمام الذي أولته الأديان السماوية لأسماء الأشخاص، نجد أنها رسخت منظومة أو قاموسا للأسماء المحببة والمباركة، فقد شكل الانجيل مصدرا للأسماء النصرانية، ومن الأمثلة الشاهدة على ذلك من باب التمثيل لا الحصص: "اليزابيث وتعني ميثاق الرب، وجيمس وجوزيف وتعني فضل الله وجون وتعني هدية الرب وغيرها...

أما بالنسبة للدين الإسلامي فقد كان له أثر كبير في تغيير منظومة التسمية خصوصا لدى العرب، فقد دعا إلى تغيير واستبدال بعض الأسماء خصوصا منها التي كانت على أساس طوطمي، والتي كانت العرب تسمي بها المواليد، أو تكني بها الرجال أو تسمى بها القبائل مثل: مرة، بني كليب، ثعلبة وحجر، تأبط شرا، أبو جهل... حيث أولى الدين الإسلامي أهمية لدلالات التسمية لما لها من دور وأهمية في مجال علاقة المسمى بمحيطه ولما لها من انعكاسات على الذات الفردية التي تملك هذه التسمية وتنادى وتعرف من خلالها، فكانت

الدعوة إلى اختيار ما هو حسن ومحبيب من الأسماء، وأقر في ديانة الإسلام أن من حق الولد على والده أن يحسن اختيار اسما له، ويحسن موضعه، ويحسن أدبه.

وقد كان لانتشار الدين الإسلامي فيما بعد خارج شبه الجزيرة العربية أثر في انتشار العديد من الأسماء وانتقالها إلى العديد من الثقافات والمجتمعات كشمال أفريقيا، أندونيسيا، الصين، ماليزيا، بلاد الفرس، بلاد الأناضول،

2- اللغويات

قافات وكل المجتمعات تشكل ألفاظا لغوية، وتمثل أصواتا لغوية وتشكل مجالا خصبا للدارس اللغوي أو الألسني، فإذا كانت اللغة تمثل نظاما من القواعد أو الإشارات، فإن من وظائفها أنها أداة اتصال تنتج تفاعلا اجتماعيا. كذلك الاسم الممنوح للفرد فإنه يشكل أداة اتصال بين

كما توفر الدراسات اللغوية للباحث في مجال التسمية عموما سواء ما تعلق منها بأسماء الأعلام أو تسمية الأماكن، أو الأسماء العائلية Patronymie، أو تسمية الأولياء Hagionyme، أو البحث في تسميات الأعراق والاثنيات Ethnonyme، دلالات التسمية للأمر المسمى سواء أكان فردا أو مكانا أو لقباً أو عرفاً، فأصل التسمية يرجع إلى المصدر اللغوي الذي تولد منه.

3- التاريخ

لقد كان للتاريخ أهمية في حياة العديد من الأمم والشعوب حيث أطلقت عليه العديد من التسميات بين الفن والعلم،

وكانت العديد من الثقافات والمجتمعات قد أعطت عناية كبيرة لعلم الأنساب، والترجمة لمشاهير الرجال، فألفت كشافات والموسوعات، مما كان له الأثر والدور في انتشار أسماء الأشخاص، أو انحصارها.

-4-

ينظر الإحصاء إلى الأسماء على أنها ظاهرة لغوية تخضع لقانوني " " "التناهي" فيعني أن الأسماء وألفاظ اللغة تنتشر في البيئة بلا تمركز في مكان واحد، أو تجمع في ركن واحد على حين يذهب قانون التناهي إلى أن الأسماء وكل الكلمات لها حدود فهي مفردات في نظام متناه في العدد مهما بلغ حجمه، ولذلك فإذا أردنا حصر الأسماء، وإجراء الدراسة الإحصائية عليها يجب جمعها إلى أن نصل إلى نقطة لفاصلة والتزيد، وهذه تحتمها القوانين الإحصائية.³

والدراسة الإحصائية تنتهج التحليل الكمي باستخدام الحاسب الآلي، ومن خلال برامج متنوعة، وبالتالي تبرز الدراسة عدد مرات تكرار الاسم في العينة وعدد مرات ظهوره كاسم أول وثان وثالث أخيرا تكشف المقارنة بين هذه الأجيال الثلاثة عن حجم التغير واتجاهاته من خلال النسب المئوية والتوزيعات التكرارية والرسوم الكمية البيانية...⁴

ثانيا: أبرز مناهج الدراسة الأنتروبولوجية في موضوع أسماء الأعلام.

يرى العديد من المفكرين أن العلم عبارة عن بناء معرفي، من أبرز خصائصه أنه منظم بطريقة مفيدة، فالمنهج العلمي هو عملية تفكير تحكمها مجموعة من القواعد، ومنهج البحث الاجتماعي لا يختلف عن مناهج البحث في الفروع العلمية الأخرى خاصة في الغاية المنشودة وهي اكتشاف الحقيقة والوصول إليها.⁵

ولما كان البحث في موضوع أسماء الأعلام له دلالة مختلفة أهمها إبراز هوية المجتمع، وتحديد انتمائه الحضاري، وتقديم المساعدة للكشف عن شخصية المجتمع، هذا الأمر الذي يظهر أهمية المنهج في دراسة أسماء

إن مدلول كلمة منهج يعني السبيل أو الطريق التي يسلكها الباحث في دراسته لمشكلة من المشكلات أو الظواهر الاجتماعية، الإنسانية، أو الطبيعية، وبمعنى آخر فالمنهج هو عملية تفكير منطقية منظمة مصحوبة بخطوات تطبيقية يسعى الباحث من خلالها الوصول إلى أهدافه التي سطرها.

وكان ابن خلدون أول من دعا إلى ضرورة دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة تحليلية، تهدف إلى الكشف عن طبيعتها، والوصول إلى القوانين التي تحكمها، وقد أكد على ضرورة استخدام المنهج الاستقرائي، والاعتماد على الملاحظة، كما أشار إلى ضرورة الاهتمام بالجوانب الديناميكية للظواهر الاجتماعية إلى جانب العناية بدراسة الجوانب الاستاتيكية، ومن بعده جاء عدد من المفكرين الأوربيين الذين قدموا مقترحات علمية متشابهة، ومن هؤلاء أوجست كومت، ومن بعده إميل دوركايم. الذي أكد على ضرورة تدعيم الدراسات التي تبحث في الظواهر الاجتماعية بإقامة الأدلة والبراهين.⁶

مفهوم المنهج

"منهج" "مناهج" في العلم الحديث، وكانت أكثر شيوعاً، في مجال العلوم الاجتماعية خاصة، علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وحسب العديد من العلماء والمفكرين، فإن كلمة منهج هي وليدة الباحث والميادين المنطقية، حيث يقول في هذا المجال العالم الفرنسي " : ان مناهج العلوم أو Methodologie تعد جزءاً هاماً من أجزاء المنطق، وميداناً أساسياً من ميادينه.

وهناك العديد من المناهج والطرق التي بواسطتها يقوم الباحث بجمع البيانات التي توظف في البحوث العلمية، وفي مجال البحث العلمي لا يمكننا القول أن هناك منهجاً أفضل من منهج آخر ، وإنما هناك منهج مختار يكون أكثر ملاءمة من غيره لدراسة ظاهرة معينة وبلا شك أن نوعية وطبيعة موضوع البحث هي التي تحدد اختيار المنهج الذي سيستخدم في الدراسة، وذلك من أجل الوصول إلى الإجابة بأفضل طريقة على الإشكالية المطروحة، ونظراً لطبيعة الدراسة التي يقوم بها الباحث ، التي تسعى إلى تشخيص الواقع الفعلي لظاهرة للظاهرة المدروسة، والعمل على معرفة الأسباب والظروف المحيطة بالظاهرة، ومحاولة فهمها فهماً موضوعياً، إضافة إلى تحقيق جملة الأهداف المسطرة، ومن أبرز المناهج المستخدمة في دراسة موضوع أسماء الأعلام نجد:

1- المنهج السوسيوأنثروبولوجي

برز الخصائص المميزة للدراسات السوسيوولوجية، مقارنة بالاتجاه الكيفي في البحوث والدراسات الأنثروبولوجية، غير أن استقراء الدراسات " السوسيوولوجية " " الأنثروبولوجية الاجتماعية-الثقافية" الحقلية المعاصرة يبرز لنا تغير في وضع تلك المقومات التي استندت إليها تلك الثنائية، فعلى الرغم من أن علم الاجتماع قد عني بالأنماط المجتمعية " خاصة ما تعلق بمشكلات الأسرة والاضطرابات الاجتماعية المصاحبة للجريمة والعنف، وملابساتها الاقتصادية والسياسية، ومشكلات التنظيم وغيرها، فهناك دراسات سوسيوولوجية معاصرة اهتمت بالأنماط المجتمعية الريفية والبدوية، وبالمقابل فيقدر ما اهتم الباحثون الأنثروبولوجيون بمشكلات المجتمعات التقليدية والبدوية، فقد وجهوا اهتمامهم نحو دراسة مشكلات التحضر والهجرة، والصراع العرقي، والانحراف والتنشئة الاجتماعية، ومشكلات التنمية⁷ ماكن، أسماء الأعلام، أسماء المواقع المائية.

وهذا ما يبرز أن هناك ضرورة للمزاوجة بين الطرق السوسيوولوجية وما اشتملته من إحصاءات واستبيانات، ووثائق، مع طرق البحث الأنثروبولوجي كالملاحظة بالمشاركة، والمعاشية، والاعتماد على الإخباريين، وغيرها ربولوجي، لدراسة المشكلات الاجتماعية، والموضوعات البحثية التي ظهرت في وقتنا

وفيما يتعلق بطرق البحث، واتجاهات التحليل فقد أحرزت الأنثروبولوجيا تقدماً كبيراً في استخدام الطرق المقننة، كما أفادت الدراسات السوسيوولوجية كثيراً من المزاوجة بين تلك الأساليب الفكرية، وطرق الملاحظة بالمشاركة، وغيرها من طرق البحث الأنثروبولوجي.⁸

وتم الاعتماد على المنهج السوسيوأنثروبولوجي من أجل تفادي أوجه النقد التي تتعرض لها كل من الطريقة الكمية والطريقة الكيفية، الأمر الذي استوجب أن يجمع الباحث بين المنهجين، المنهج السوسيوولوجي التركيز على مجتمع الدراسة واختيار العينة الملائمة والممثلة لحجم المجتمع المدروس، أما المنهج الأنثروبولوجي فلأهميته في محاولة فهم ثقافة المجتمع ودراسة كل مظاهر الحياة، فمن أساسيات هذا المنهج أن يقيم الباحث في المجتمع المدروس لفترة كافية، ودراسة العلاقات الاجتماعية وما بها من قيم.

لذلك فالأخذ بالمنهج السوسيوأنثروبولوجي عند دراسة موضوعات ثقافية واجتماعية مرتبط بجملة التطورات الحاصلة، فالواقع أن الحياة الاجتماعية في وقتنا الحاضر قد تأثرت بالتكنولوجيات الحديثة خاصة وسائل الإعلام والاتصال بكل أنواعها، وما تحمله من ثقافات وقيم تختلف مع الثقافة الأصلية المحلية، في إطار ما يسمى بالعلومة، الأمر الذي أدى إلى بروز ظواهر، واكتشاف مجالات لم يكن بالمقدور الوصول إلى فهمها دون دراستها عن قرب أو معايشتها.

ومعلوم أن المنهج السوسيوأنثروبولوجي بأسسه وخصائصه المذكورة سابقا، سيساعد الباحث على رصد حالة أي عنصر في الدراسة سواء أكان وضعاً مادياً، أو خصائصاً فيزيقية، أو جوانب نفسية معنوية للفرد أو الجماعة، إضافة إلى الكشف عن أنماط التفاعل المختلفة بين الأفراد كالتعاون، أو التنافس والصراع...

2- المنهج الوصفي

إن من أبرز المناهج المعتمدة في الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية نجد المنهج الوصفي التحليلي، و إذا تتبعنا نشأة المنهج الوصفي التحليلي فنجده قديم قدم الأفكار العلمية، والحوادث المعرفية التي عرفها الإنسان عبر تاريخه الطويل، ولكن برز استخدام المنهج الوصفي التحليلي بصورة أكبر في الأبحاث والدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية في العصر الحديث، خاصة لما استخدم في ثلاثة أبحاث ودراسات أكاديمية أساسية تمثلت الأولى في حركة المسح الاجتماعي في انكلترا، والثانية في فرنسا لما وصف فريدريك لوبلاي المنهج الموثجرافي، والثالثة ارتباط المنهج الوصفي التحليلي بالدراسات الأنثروبولوجية في نشأتها في . . .

ويرى بعض الباحثين أن المنهج الوصفي التحليلي في مرحلة نشأته هو طريقة يعتمد عليها الباحث في الحصول على معلومات دقيقة تصور الواقع الاجتماعي وتسهم في تحليل ظواهره، ويستهدف الوصف في هذه المرحلة تحقيق عدد من الأهداف نذكر منها:

- 1- جمع المعلومات الدقيقة عن جماعة أو مجتمع أو ظاهرة من الظواهر.
- 2- صياغة عدد من التعميمات، أو النتائج التي يمكن أن تكون أساساً يقوم عليه تصور نظري محدد للإصلاح.
- 3- وضع مجموعة من التوصيات أو القضايا العلمية التي يمكن أن ترشد السياسة الاجتماعية في هذا المجال.

يعتبر المنهج الوصفي من أنسب المناهج، وأقدرها التي تمكن الباحث من جمع البيانات الميدانية وتحليلها، وذلك من خلال الاعتماد على إجراء مقابلات مقننة، أو وضع استبيانات، بهدف الحصول على معلومات ومعطيات أكبر من المبحوثين الذين يمثلون مجتمعاً معيناً، وعادة ما تشتمل الدراسة الوصفية على مجموعة من الأسئلة، الغاية من صياغتها الاستفسار عن معلومات تتعلق بالخصائص التي يكتسبها الفرد من خلال عضويته في جماعة اجتماعية، أو فئة اجتماعية، فضلاً عن تعرف الباحث على مظاهر السلوك، والمعتقدات، والقيم والاتجاهات والآراء الحاضرة والماضية على حد سواء.

ويرى بعض علماء المنهجية أن البحوث الوصفية لا بد أن تركز على خمسة أسس، والتي يمكن ذكرها فيما يلي¹⁰:

- 4- إمكانية الاستعانة بمختلف الأدوات المستخدمة للحصول على البيانات كالمقابلة وتحليل الوثائق والسجلات سواء بصورة منفردة تستخدم خلالها كل أداة على حدى، أو بصورة مجمعة يمكن خلالها الجمع بين استخدام أكثر من أداة.

5- نظرا لأن الدراسات الوصفية تهدف إلى وصف وتحديد خصائص لظواهر متفرقة، فلا بد أن يكون هناك مستوى عمق تلك الدراسات، بمعنى أن يكتفي بعضها بمجرد وصف الظاهرة المبحوثة كميًا أو كيفية تغيير دراسة الأسباب التي أدت إلى ما هو حادث فعلا، بينما يسعى البعض الآخر إلى التعرف على الأسباب المؤدية للظاهرة علاوة على ما يمكن عمله أو تغييره حتى يؤدي إلى إجراء تعديل .

6- تعتمد الدراسات الوصفية غالبا على اختيار عينات ممثلة للمجتمع الذي تؤخذ منه وذلك توفيراً للجهد والوقت وغيرها من تكاليف البحث.

7- لا بد من اصطناع التجريد خلال البحوث الوصفية حتى يمكن تمييز خصائص أو سمات الظاهرة المبحوثة، وخاصة أن الظواهر في مجال العلوم الاجتماعية تتسم بالتداخل والتعقيد الشديدين الأمر الذي لا يمكن للباحثين من مشاهدة كل تلك الظواهر في مختلف حالاتها على الطبيعة.

8- لما كان التعميم مطلبا أساسيا للدراسات الوصفية حتى يمكن من خلاله استخلاص أحكام تصدق على مختلف الفئات المكونة للظاهرة المبحوثة، كان لا بد من تصنيف الأشياء أو الوقائع أو الكائنات أو الظواهر محل الدراسة على أساس معيار مميز، لأن ذلك هو السبيل الوحيد إلى استخلاص الأحكام ومن ثم التعميم.

3- التقاطع بين المنهج الأنثروبولوجي والمنهج التاريخي في دراسة الأسماء

يمكننا القول أن المنهج التاريخي من المناهج الكيفية التي تتقاطع في الكثير من الموضوعات مع المنهج الأنثروبولوجي، لا سيما المنهج الفولكلوري عند الاشتغال على موضوعات الثقافة الشعبية، ومن أهم المزايا والمساعدات الأكاديمية التي يمكن أن يقدمها المنهج التاريخي للباحث الأنثروبولوجي في مجال أسماء الأعلام هو تزويده بالمعلومات حول علاقة بين الإنسان والثقافة والبيئة ودور هذه العلاقة في توليد وإطلاق بعض الأسماء على الموالييد.

كما يعتمد المنهج التاريخي على الوثيقة التاريخية، فيزودنا بالدليل المادي حول موضوعات التاريخ الثقافي للمجتمع سيما الوثائق والدراسات التي تشتمل على دلالات الأسماء، وأبرز استخداماتها، ومدى انتشارها بين طبقة من طبقات المجتمع دون أخرى في مرحلة ماضية من حياة المجتمع، ومناسبات إطلاقها، ومدى التغيير الذي طرأ عليها نتيجة عوامل متعددة كالانتشار، الهجرة، الحروب... .

: أهم الأدوات البحثية المستخدمة في أبحاث أسماء الأعلام.

-1

تعتبر الملاحظة بالمشاركة الوسيلة الأساسية في العمل الميداني، وكثيرا ما يعول عليها الباحث في اختبار البيانات التي يستخلصها بواسطة بعض الوسائل الأخرى، وتعبير الملاحظة بالمشاركة يتضمن فكرتين أقام عليهما بعض الباحثين موقفا ذا طرفين أحدهما يمثل الاندماج في المشاركة، والثاني يمثل التركيز على الملاحظة، والمهم هنا أن هذا التقابل بين المشاركة الخالصة، وبين الملاحظة الخالصة يماثل التقابل بين موقفي الاستغراق والانفصال اللذين يشار إليهما في الدراسة الحقلية الأنثروبولوجية كعملية ضرورية يقوم بها الباحث حتى يتمكن من فهم ما حوله وتسجيل ملاحظاته وتحليلاته عليه بعد ذلك 11.

الملاحظ يتوجه إلى ميدان بحثه لدراسة فريق طبيعي " ثلة من الشباب، مدرسة، مؤسسة، مدينة". يلاحظ ما يجري، ويسأل الإخباريين، ويحاول توثيق أقوالهم بالأدلة، والملاحظة قد تكون خارجية، أو ملاحظة بالمشاركة، والملاحظ الخارجي يرصد العناصر المدروسة كلا على حدى، جاعلا من نفسه غير منتبه إليه، كأن يجلس في عمق قسم ويقوم بهذا النوع من الملاحظة بطريقة منتظمة من خلال برنامج مسطر مسبقا، والذي يقوم بجرد ما سيخضع للرصد وما ستتم ملاحظته، لكن بالمقابل يستطيع إضافة إلى ذلك أن يأخذ على عاتقه بأن يحاول فهم حياة مجموعة ما بشكل عميق، حيث يندمج في هذه المجموعة مشاركا في أنشطتهم، حريصا على عدم إبراز غرضه، كما يمكن أن يظهر الباحث هويته، فالأنثروبولوجيون مثلا يحاولون جعل أنفسهم مقبولين في المجتمعات التي يدرسونها. فهناك الكثير من الباحثين عايشوا حياة المؤسسة بشكل لصيق، أو حياة مستشفى، أو حياة مدينة¹².

وهناك من الباحثين من ينظر للملاحظة بالمشاركة على أنها الطريقة التي يتبعها الباحث الأنثروبولوجي، وذلك القيام والمشاركة بالأعمال التي تقوم بها الجماعة المدروسة، بغية التقرب منها والحصول على ودها، ومن ثمة إمكانية الوصول إلى أدق التفاصيل المتعلقة بالجماعة المدروسة، وغالبا ما يشترك الباحث في ممارسة مختلف الطقوس الدينية والاجتماعية، أو بعض المناشط الصناعية والحرفية، أو الزراعية... سواء أكانت فردية أم جماعية.¹³

ويرى بعض علماء الأنثروبولوجيا أنه لا يمكن دراسة المجموعات البشرية إلا بالاتصال بهم، الأمر الذي يستوجب مشاركتهم العيش بصورة دائمة ومستمرة طيلة فترة الدراسة، وهذا ما أكده كل من كلود ليفي ستروس و Claud Levi-Strauss و لينهاردت¹⁴. يمكن التركيز على السمع والنظر، اللذان لا يمكن الفصل بينهما في أثناء القيام بجمع البيانات والمعطيات الميدانية.

ومن أهم المميزات التي تمتاز بها أداة الملاحظة بالمشاركة، أنه من خلالها يستطيع الباحث القيام بمشاركة أفراد مجتمع الدراسة بطريقة طبيعية بعيدا عن الاصطناع، كما أن الباحث يستطيع تسجيل الحدث تلقائيا عند حدوثه، دون أن يضطر للتعامل مع الأفراد وسؤالهم وتسجيل إجاباتهم، والتي قد لا يتمكن من الحصول عليها سيما إذا تعلق الأمر بـ

وأهم المعطيات والمعلومات التي يتم تحصيلها بواسطة الملاحظة بالمشاركة، قد تساعد الباحث في انجاز بحثه وتزوده بتوجيهات هامة عند تصميم الاستمارة، وبلا شك سيتم الاعتماد على هذه المعلومات المحصلة كذلك عند عملية تحليل المعطيات الميدانية التي جمعت بوسائل أخرى، وذلك من خلال إبراز الشواهد والأدلة.

وفي هذا الصدد يرى غانم عبد الغني أن المعلومات والمعطيات المحصلة بواسطة الملاحظة بالمشاركة، ذات فائدة وأهمية بالنسبة للوسائل البحثية الأخرى، فالمعلومات الأولية المحصلة عن طريق الملاحظة بالـ الباحث بتوجيهات هامة عند التخطيط لإعداد استمارة البحث، كما تساعد كذلك عند إجراء الاختبارات السيكولوجية، وأثناء إعداد وتوظيف الوسائل البحثية الأخرى، كما تساهم الملاحظة بالمشاركة في انتقال المعلومات الحقلية الضرورية التي بواسطتها يتمكن الباحث من تقييم الأدلة التي استنبطت من المعطيات الميدانية -فترة إجراء الدراسة الحقلية- بين الملاحظة بالمشاركة والوسائل البحثية الأخرى لجمع المعطيات الحقلية.¹⁵

-2-

هناك من الباحثين من يستخدم كلمة " بدلا من كلمة المقابلة، ولعل حجتهم في ذلك هو الرجوع إلى الأصل اللغوي للكلمة، ذلك أن الاستبارة من سبر وأسبر وأسبتر الجرح أو البئر أو الماء أي امتحن غوره ليعرف مقداره، واستبتر الأمر جربه واختبره.¹⁶

يمكننا تعريف المقابلة: "... كما تستخدم في البحث الاجتماعي بأنها المحادثة التي يبدأ بها الباحث، أو القائم بالمقابلة لغرض الحصول على بيانات مهمة للبحث. ويعرفها باحثون آخرون بأنها الحصول على بيانات عن طريق المحادثة التي يقوم بها القائم بالمقابلة مع شخص أو أشخاص آخرين لغرض البحث أو للمساعدة في التشخيص أو العلاج الاجتماعي، والمقابلة تختلف عن المحادثة الاعتيادية التي تجري بين الناس، من ناحية كونها مخطط لها لكي تنجز أو تحقق غرض معين.¹⁷

يرى غريب سيد أحمد أن المقابلة أو الاستبارة interview من الأدوات والوسائل الرئيسية المهمة التي يعتمد عليها الباحث الاجتماعي لجمع البيانات اللازمة، والمقابلة في جوهرها هي عبارة عن تفاعل لفظي يتم غالبا عن طريق موقف مواجهة يستثير من خلاله الشخص القائم بالمقابلة آراء ومعتقدات شخص أو مجموعة أشخاص، وذلك بهدف الحصول على بعض المعطيات الموضوعية.¹⁸

والمقابلة أنواع متعددة ومختلفة، حيث انطلاقا من الهدف المحدد لإجراء المقابلة يتحدد نوعها، فهناك المقابلة العلاجية كالتى يجريها الطبيب، أو المعالج النفساني مع المريض، وهناك المقابلة التشخيصية، وهناك المقابلة البحثية والتي يكون الغرض منها جمع البيانات والمعطيات المتعلقة بمشكلة الدراسة، كما يمكننا تحديد نوع

انطلاقاً من نوعية الأسئلة التي تضمنتها، فهناك المقابلة المقننة أي المقيدة بالأسئلة، وهناك مقابلات حرة، أما إذا أخذنا في الاعتبار عدد المبحوثين فهناك المقابلة الفردية، والمقابلة الجماعية.

وإذا كان هدف الباحث الأنثروبولوجي استخلاص وجهة نظر الأفراد موضع البحث، وأسلوبهم المتميز في رؤية الأشياء والأشخاص فإن من الضروري أن يدخل المقابلة كوسيلة أساسية في تحقيق هذا الهدف، وتعتبر غير الموجهة هي الأنسب غالباً عند دراسة أسماء الأعلام، لأنها تشتمل على الحديث العادي وتوجيه أسئلة ذات نهايات مفتوحة تتيح للفرد أن يبدي رأيه في الموضوع المطروح، وخلال المقابلة يتلخص موقف الباحث في أن يكون مستمعاً وملاحظاً جيداً، فهو يستمع لكل كلمة تقال، وفي نفسه يلاحظ كل الإيماءات والإيعازات، وحركات الأيدي، وباقي أعضاء الجسم خلال الحديث.¹⁹

ومن فوائد المقابلة في البحوث الأنثروبولوجية تدعيم أداة الملاحظة من خلال الحصول على معطيات ومعلومات أكثر تفصيلاً عن الموضوع المدروس، خاصة لما تكون الحاجة ماسة للتعمق في جانب أو أكثر من جوانب

3- الاستبيان

يرى عبد الباسط محمد حسن أن الاستبيان: "ترجمة للكلمة الإنجليزية questionnaire العربية ترجمت متعددة، تترجم أحياناً باسم الاستفتاء، وتترجم أحياناً أخرى باسم الاستقصاء، وتترجم أحياناً ثالثة باسم الاستبيان، وهذه الكلمات جميعها تشير إلى وسيلة واحدة لجمع البيانات قوامها الاعتماد على مجموعة من الأسئلة ترسل إما بطريق البريد لمجموعة من الأتلفزيون، أو عن طريق الإذاعة ليحيط عليها الأفراد، ويقوموا إرسالها إلى الهيئة المشرفة على البحث، أو تسلّم باليد للمبحوثين ليقوموا بملئها ثم يتولى الباحث، أو أحد مندوبيه جمعها منهم بعد أن يدونوا إجاباتهم عليها."²⁰

ويرى الباحث الأنثروبولوجي الشهير هر سكوفيتز أن الاستبيان كأداة بحثية تساعد الأنثروبولوجي المختص في الالتفات إلى العناصر التي قد تسقط منه سهواً أو إهمالاً في مرحلة ما من مراحل إعداد البحث، وهذا ما جعل بعض الأنثروبولوجيين يصفونها على أنها مذكرة يدوية للأنثروبولوجي المختص الذي يقوم ببحث ميداني.²¹

هذا وقد تشتمل استمارة الاستبيان على قائمة صغيرة للأسئلة، كما قد تشكل مجموع الأسئلة كتيباً صغيراً، قد يتجاوز عشرات الصفحات، وغالباً ما تختلف استمارات الاستبيان من ناحية نوع الأسئلة، فهناك الأسئلة المفتوحة، الأسئلة المقفلة، الأسئلة المباشرة، الأسئلة غير المباشرة

4- الطريقة الجينيةالوجية

"ريفر" ز قد وضع أسس هذه الطريقة وهو يعمل ضمن بعثة جامعة كمبردج عام 1898م وهي تقوم على أساس تتبع العلاقات بين الإخباري وسائر المرتبطين به قرابياً وتسجيل ما يراه من بيانات تشمل الأسماء والأنواع وتواريخ الميلاد والزواج والطلاق والوفاة والإقامة وأنواع الروابط الزوجية، والعمل، وغير ذلك من البيانات التي تفيد موضوع الدراسة ويقوم الباحث باستخلاص هذه المعلومات في مذكراته خلال الـ ثم يقوم بعد ذلك بتفريغها في أية صورة تساعد على فهم العلاقات ولقاء الضوء على التنظيم الاجتماعي القائم وعندما توضع هذه البيانات في صورة تخطيط هندسي فإنها تعبر تعبيراً سريعاً وواضحاً عن العلاقات والارتباطات وينبغي أن ينتبه الباحث منذ البداية إلى أهمية الحرص على تفهم معاني المصطلحات من وجهة نظر الأهالي بمعنى الأبوة الاجتماعية والبيولوجية ومعنى البنوة المستمدة من الميلاد أو الرضاعة أو التبني أو غيرها وكذلك طريقتهم في تقدير الأعمار وحساب التواريخ.²²

5- دليل العمل الميداني

يمكننا القول أن دليل العمل الميداني هو بمثابة الموجه أو المرشد للباحث وغالباً ما يتضمن عناصر ومحاور الموضوع المدروس كأسماء الأعلام مثلاً، ودليل العمل في الأبحاث الاجتماعية والأنثروبولوجية ليس بالجديد فمن أشهر أدلة العمل في مجال البحث الميداني الأنثروبولوجي نذكر:

- دليل عمل ميداني بعدن : Notes and queries on Anthropologie. نشره المعهد الملكي في بريطانيا

دليل عمل وضعه عالم الاجتماع الفرنسي الشهير "مارسيل موس، Marcel Mauss" : دليل
الاثنوغرافيا، Manuel kethnographie

الدليل الذي وضعه " George Foucart " المقدمة في التساؤلات للأنثولوجيا
الإفريقية، "Introductory Questions on African Ethnology"

ويتضمن دليل العمل الميداني جميع الاحتمالات التي يمكن أن يواجهها الباحث أثناء إجراء البحث، وهذا الدليل يعده الباحث ليكون بمثابة مرشد له يعينه على تحديد المواقف التي يمكن أن تواجهها أثناء التنفيذ الفعلي للبحث، ويحدد كيفية تعرفه على كل منها.²³

6- الإخباريون

الإخباريون هم الأشخاص العارفون بـ " " " " " القضية " الباحث الأنثروبولوجي، إذا أراد مثلا أن يقوم بجمع مادة علمية حول " التنشئة الاجتماعية للأبناء " فعليه في هذه الحالة أن يسأل الآباء عن أساليب تعاملهم مع الأبناء من الجنسين من حيث التوجه والمراقبة والنصح والعقاب والتدريب... الخ، كما أن عليه أن يسأل أيضا المشتغلين بالتربية والتعليم والتقويم ويسأل الأجداد حول رؤيتهم لطرق التربية المعاصرة، كما يسأل الأبناء في رؤيتهم للمعاملة التي يلقونها داخل الأسرة²⁴

وتحديد فئة الإخباريين من قبل الباحث يرجع بدرجة كبيرة إلى نوعية الدراسة أو البحث حول ظاهرة النزاعات والصراعات بالطرق العرفية فالباحث في هذه الحالة يتصل برؤساء القبائل والأعيان والأفراد العارفون الذي يعود إليهم في فضل النزاعات والخصومات الأهلية وعمق صلاته بفئة الإخباريين وبأهذا الوصول معهم إلى درجة الألفة والثقة كي يحصل منهم على المعلومات المفيدة والكافية ويمكن للباحث لتعميق الصلة بالإخباريين أن يقدم لهم بعض الهدايا أو الخدمات دون أن يجعل ذلك ثمنا أو مقابلا للمعلومات التي تقدم له .

ويمكن الاستفادة من الإخباريين عند قيامنا ببحث حول موضوع الأسماء من خلال ما يقدمونه من معارف حول الأسماء المنتشرة بمجتمع الدراسة، كدلالات الاسم العلم، وطرق ومعايير اختيار الاسم، ومناسبات اختيار الاسم خصوصا وأن الإخباري هو ذلك الشخص الذي يتمتع بقوة الذاكرة والقدرة الفائقة على الحفظ والإلمام بثقافة

7- التصوير بمختلف أنواعه

الهدف من استخدام التصوير كالتصوير الفوتوغرافي، أو الفيلم الاثنوغرافي مثلا، هو إلقاء الضوء واستكشاف بعض صور ومعال الحياة اليومية بالوسط المدرس، والتي تعد تعبيرا عن جزئيات ومجريات الحياة اليومية،

ويرى بعض الباحثين أن التصوير الفوتوغرافي أو الفيلم الاثنوغرافي يعتبر من أهم الوسائل التي يمكنها مساعدة الباحث على توثيق ملاحظاته، أو إبراز صور الممارسة أثناء دراسة الظاهرة، والمادة التي يجمعها الباحث بواسطة التصوير الفوتوغرافي يمكنه الانتفاع بها، فقد تكون مكملة للملاحظة.²⁵

-8-

يمكننا القول إنَّ السجلات والوثائق هي إحدى الأدوات والمصادر، التي تزود الباحث بالمعلومات والمعطيات اللازمة، أثناء انجاز الأبحاث والدراسات، فيعمل الباحث من أجل الحصول على بعض الوثائق التي لها صلة بالموضوع، وستساعد هذه الوثائق الباحث في الحصول على معطيات ومعلومات هامة يتم استخدامها في مراحل مختلفة من البحث، كالإحصائيات المتعلقة بمجتمع البحث، إضافة إلى الحصول على قوائم اسمية خاصة بالفئة المدروسة في حقبة زمنية معينة، خاصة ما تعلق بشجرة الأنساب، ووثائق الميلاد في موضوع أسما

إنّ أسماء الأعلام في أي مجتمع كما ذكرنا في مطلع هذا المقال تشكل جزءا من ثقافته، وهي تختلف من مجتمع إلى آخر تبعاً لاختلاف الثقافات التي تميز الشعوب بعضها عن بعض، وأسماء الأشخاص كجزء من ثقافة المجتمع تخضع للتغير والتبدل في إطار عملية التغير الاجتماعي والثقافي التي تتعرض لها الثقافة الأم، كما تساهم العديد من العوامل في تحديد نوعية الأسماء كالعامل البيئي، والاختلاف الطبقي الاجتماعي والاقتصادي داخل المجتمع، إضافة إلى التوجهات الفكرية والفلسفية، والانتماءات الدينية والمذهبية. وكل هذا يبرز " " جزءاً من الهوية العامة للمجتمع سواء تعلقت التسمية بالإنسان أم المكان، سيما في عصرنا هذا الذي أصبحت تحتل فيه " الهوية" موضوعاً هاماً للنقاش، كما أصبحت تشكل مشكلة تتولد عنها إشكاليات عديدة لبلدان مختلفة في ظل الصراعات الداخلية أو التحديات الخارجية سيما في بلدان الدول النامية.

وفي ظل هذه الأهمية التي تحوزها " التسمية" فقد نالت حيزاً معتبراً من اهتمام العلوم الاجتماعية بصورة عامة، والانتروبولوجيا بصفة خاصة، ولعل هذا الاهتمام أدى إلى تنوع وثراء في تقنيات ومناهج البحث في